ديوان "صرخة الطباشير"

للشاعر: رعد عمر حاج حسين

إشراف مجلة نور الثقافية

التصنيف: ديوان شعري

مقدمة الديوان

أيها القارئ الكريم، بين دفّتي هذا الديوان تنبض قصة معلم قد أُهمل، قُدّر له أن يُقابل النكران بعد سنوات من العطاء، هذه صرخة من أعماق قلب لم يُكسر، وصوت يحتج على جحود الزمن وفقدان الوفاء.

قصيدة "صرخة الطباشير"

(من فم السبورة، ومن نزيف الطباشير، ينهض المعلم ليحاكم الزمن)

صرخَ الطباشيرُ: "واويلاهُ، من خذَلوا...!

ماتَ المعلمُ، لا عزٌ ولا دولُ"

كانَ الإلهامُ يمشي في مسامِعِهم
واليومَ يرجمُهُ التلميذُ ويغتسلُ!
ما بين سبّورةٍ بيضاءَ ناطقةٍ
وبينَ دفترِه.. التاريخُ مُكتملُ!
يأتي الصباحُ، فيمشي دونَ راتبهِ
ويكتبُ الحرفَ.. كأنّ العمرَ ينهملُ!
يخشى الجوعَ، ويُخفي الحزنَ في أملٍ
كأنّهُ اللّهُ في صبرٍ لهُ جَبَلُ!
يُدرّسُ الحرفَ والأرواحُ داميةٌ
ويضحكُ الطفلُ.. والشيطانُ يحتفلُ!
سُلبتْ كرامتُهُ.. صارتْ مكافأتهُ
كوبًا من الشايِ.. إن نادوهُ: "يبتهلُ!"
هل هذا حلمي؟! أم نُفايَةٌ أمّتي؟!
أينَ العُلا؟! أينَ من بالأمسِ قد عدلوا؟!
يا أيّها الجيلُ، قل: من علمَ الأبجدي
من كانَ يوقظُكم، لو نامَكم شللُ؟
أنا الذي لو مشيتُ اليومَ في وطنٍ
لقالَ شرطيُهُ: "قِفْ! من هنا دخلوا؟!"
أنا المعلمُ.. لا شيءٌ يُخيفُ دمي
إلّا سكوتي إذا ما الحقُ يُغتزلُ
إن متُ فاذكرْ بأنّي كنتُ أزرعُكم
حتى إذا أينعتْ أرواحُكم.. خُذِلوا!

القصيدة الثانية:

"سأرحلُ صامتًا.. يا طبشورُ قل"

البحر: الوافر – القافية: اللام

سأرحلُ صامتًا... لا الدمعُ يجدي

ولا وجعُ السنينِ لهُ مَحلُّ

تعبتُ من الوقوفِ، ومن نداءٍ

يضيعُ، كأنّهُ صَوتٌ يُذلُّ

هنا سبّورتي بيضاءُ لكنْ

جراحُ الحرفِ في الأعماقِ تغلُو

كتبتُ على السطورِ العمرَ حرًّا

فماتَ الدرسُ، وانطفأ المُعلُّ

سأرحلُ.. بعد أن صارتْ يدايَ

كأنّهما غريبانِ، ويَسلوا

أنادي طبشوري المسكينَ: قلْ لي

أما زالَ الوفاءُ هناكَ يحلو؟

أأبقى في مَدى النسيانِ حبرًا؟

كأني ما رفعتُ الدهرَ ظلُوا؟!

أنا من كنتُ للأنفاسِ نبضًا

ومن نُطقي، تفتّحَ فيكَ عقلُ
أنا من علّمَ الدنيا قيامًا
وفي عينيهِ.. نارٌ لا تُذلُّ
فلا تبكوا عليّ إذا تناثرتْ
غبارَ طباشيرٍ.. بهِ تحيا وتُقتلُ

القصيدة الثالثة:

"كرسيٌّ من خشبٍ.. وعرشُ الجراح"
كرسيٌّ هذا الخشبِ... عرشُ كرامتي
قد كانَ قبلي حاكمَ الأرواحِ
ما اهتزّ رغمَ الريحِ، لكنّ الذي
زلزلتْهُ... سكّينُ كلّ رماحي
كم مرّ فوقَ قساوتي وتحمّلي
وعليهِ أبكيتُ السُّطورَ وراحي
أنا المعلّمُ، والمرايا شهدتي
واللوحُ عكّازي.. ونبضُ وشاحي
كلُّ الجراحِ تمرُّ من خشبٍ لهُ
صوتُ الحروبِ.. وخنجرُ النُّصّاحِ
لا ترفعنّ جباهَكم إنْ متُّ في
حضنِ الفصولِ.. فموتُ مثلي راحِ
أنا من جلستُ، وليس في عينيّ من

ضعفٍ، ولكنّ الصدى في نباحِ
كرسيّ هذا.. لم يكنْ يومًا سوى
صبرِ النّبيّ.. وجمرةِ الإصباحِ
وإذا سُئلتَ: "متى انكسرْتَ؟" فقلْ لهم
"لما تنكّرَ قومُهُ لسلاحِهِ"
سلاحُهُ طبشورُهُ، ومحابرٌ
وجبينُهُ المنثورُ فوقَ شِحاحِ
يا كرسييَ المكسورَ، لا تخجلْ إذا
ركلوكَ، أو رمَوا عليكَ سِفاحي
فأنا المعلمُ... والملوكُ جميعُهم
يتّكئونَ على رمادِ جراحي!

القصيدة الرابعة:

"من غيري؟"
من غيري أقامَ الأمَمَ على عهدِ
نورٍ، ومجدٍ، وحضارةٍ وبهاءٍ؟
من غيري غرستُ بذورَ العقلِ في صحراءِ

ظلامٍ عاتمٍ، وكانَ للضوءِ رجاءُ؟
من غيري حفرَتْ أناملُ الحروفِ نهجًا
يرتقي بهِ الناسُ.. بعزمٍ وثقةٍ وسناءُ؟
من غيري رفعَ صوتهُ في وجهِ الجهلِ، صارخًا
لا تقبلوا الذلّ.. لا ترضوا الذلّ للعبيداءِ؟
من غيري.. إن انكسرْتُ.. فانهارتْ أركانُ السماءِ
وانطفأتْ شموسُ الأملِ، وتبددَ ضوءُ الفضاءِ؟
من غيري يحملُ شعلةَ العلمِ، ويزرعُ في القلوبِ أملًا؟
ويحمي الضميرَ من الزيفِ.. ويهدمُ قلاعَ الجفاءِ؟
إن غبتُ.. لا تسألوا عني، فالدهرُ لن يعترفَ بغيابي
لكنّي المعلمُ.. أنا القائدُ، أنا الضوءُ، أنا الحيّ!

القصيدة الخامسة

"خذلوني.. وهل يليقُ بالعلماءِ؟"

خذلوني، وهل يليقُ بالعلماء
أن تُرمى غربةً وسطَ الضجيجِ والغُبَاء؟
أنا الذي كنتُ لهم نورًا وضياء
أريتهم الطريقَ، فما لاقوا الوفاء
زرعتُ في القلوبِ بذورَ النقاء
فجاءني الغدرُ، وأحاطني الضّلّاء

كم مرةً ضحيتُ بلا نداءٍ وفتاءِ

وصمتُ العيونِ كان جوابًا كالضّياءِ

أيُّ وطنٍ هذا؟ وأيُّ سماءِ

تنسى من علّمها وتدفنُ الرجاءِ

كنتُ لهم السندَ والعقلَ والضياءِ

فصاروا لي سهامًا لا تعرفُ الرّفَاءِ

خذلوني، والليلُ يزدادُ ظلماء

والقلبُ ينزفُ صمتًا، والعمرُ ظماء

لكنّي باقٍ.. حتى لو جفاهمُ الفناء

فالعلمُ في دمي، والحقُّ في دمي لهيبٌ لا يُضاء

خاتمة الديوان

أيها المعلم،

قد يُخذلك الزمان، ويغدرُ بك أهلُ زمانك،

لكنّك تبقى نبراسَ الأجيال، وصوتَ الحقيقة الخالد،

فنقاءُ روحك وعطاءُك لا يزولان، مهما هبّت رياح الجفاء.

تمت

رعد عمر حاج حسين